اسم الدرس : تفسير سورة الأنعام | ح١٤ | الآيات [٨٧ : ٩٣]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بإذن الله عز وجل نستكمل ما بدأناه في تفسير سورة الأنعام.

كنا قد توقفنا عند قول الله عز وجل: {ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٨٨-٩٠]

لقد قلنا بعد هذا الموكب الرائع المبهر لمسيرة الأنبياء ومسيرة الهدى على مدار التاريخ من ذكر سبعة عشر نبيًا متتابعين.

ومن يرى مشهد الأنبياء متتابعين من ذرية إبراهيم، ويرى مشهد سيدنا إبراهيم وهو **وحده** في بداية الآيات {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ} وكان لا يزال وحيدًا! من يرى انتقال المشهد من سيدنا إبراهيم واقفًا وحده ويحارب الضلال وحده ويقول لأبيه آزر {إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[الأنعام ٧٤] سيدنا إبراهيم كان وحده لدرجة أنه كان يقول لزوجته سارة: ليس على وجه الأرض أحد مؤمن غيري وغيرك. لا يوجد أحد مؤمن غيرنا!

وكيف أن ثبات سيدنا إبراهيم كان سببًا في مسيرة الأنبياء من بعده، المقارنة بين هذه الذرية المؤمنة والنسل الطيب الممتلئ خيرًا، الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها! وكيف أن سيدنا إبراهيم كان وحده في البداية... هذه بشرى أن الإنسان لا ييأس.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أوذيت في الله ولم يُؤذ أحد وأُخِفت في الله ولم يُخَف أحد)[١] ما هو معنى الحديث؟ من أحد معانيه أنه جاء وقت على النبي صلى الله عليه وسلم كان يُؤذى في الله ولا يُؤذى أحد غيره. كان وحده صلى الله عليه وسلم!

وبعد ذلك انظر الآن الأمة الإسلامية تمتد على مدار التاريخ على الكرة الأرضية كلها... وكيف أن الأذان يُرفع في كل مكان الآن! فتأمل! كيف أن هذا الصبر وهذا الثبات أدى إلى انتشار الدعوة. فمهما كنت وحدك في الطريق فاثبت!

ثبات سيدنا إبراهيم خَرَّج هذه الأجيال، المقارنة بين سيدنا إبراهيم وهو واقف وحده وهذا الموكب الطويل من الأنبياء يُثبِت الإنسان، مهما مر عليك أوقات كنت وحدك، اعلم أنه إن شاء الله ثباتك هذا سيأتي وقت ويكون سببًا في فتح الله عز وجل ونشر هذا الدين وليس بالضرورة تشهد هذا الوقت بنفسك!

{ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ} أي كما أن الله عز وجل هدى إبراهيم كذلك هدى هؤلاء الأنبياء... بمعنى أن هداية الله عز وجل للبشر لا تغيب من على وجه الأرض أبدًا، لا بد أن يكون لله عز وجل من يقوم بحقه في الأرض، "**لا تخلو الأرض من قائم لله عز وجل بحقه!**" لا بد أن يظل هناك أناس على الحق (لا تزال طائفة من أمتي) كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين)[٢] أمة على الحق ظاهرين! أي مهما حدث من ضلال وفتن وشبهات وشهوات لا بد أن يقيض الله عز وجل في هذه الأمة من يقوم بحق الله عز وجل.

{ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ} هدى الله عز وجل مستمر على مدار الأزمنة في كل مكان باختلاف الأنبياء وأماكنهم وأقوامهم {يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا} تأمل هذه الآية عجيبة جدًا.. الله

[١] [عن أنس بن مالك:] لقد أُوذيتُ في اللهِ وما يُؤذى أحَدٌ ولقد أُخِفْتُ في اللهِ وما يُخافُ أحَدٌ ولقد أتَتْ عَلَيَّ ثلاثٌ مِن بيْنِ يومٍ ولَيلةٍ وما لي طعامٌ إلّا ما واراه إبْطُ بلالٍ
ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٦٥٦٠ • أخرجه في صحيحه

[٢] [عن أبي أمامة الباهلي:] لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ لعدوِّهم قاهرين لا يضرُّهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأْواءَ فهُم كالإناءِ بين الأَكَلةِ حتى يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم كذلك قالوا يا رسولَ الله وأين هم قال ببيتِ المقدسِ وأكنافِ بيتِ المقدسِ
ابن جرير الطبري (ت ٣١٠)، مسند عمر ٨٢٣/٢ • إسناده صحيح

يقول عن الأنبياء؛ وإذا أشرك هؤلاء الأنبياء {لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأنعام ٨٨] ليس بين الله عز وجل وبين أحد نسب حتى الأنبياء.

فالرب رب والعبد عبد! لا يختلط أبدًا مقام الربوبية بمقام العبودية أبدًا عندنا في الإسلام، لا نكون مثل النصارى. والنبي صلى الله عليه وسلم في آخر حياته كان حريصًا على ذلك استعاذ بالله أن يكون قبره صلى الله عليه وسلم وثنًا يعبد أو يُعاد، أن يكون قبره عيدًا!

الشاهد؛ النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصًا كل الحرص على ذلك، عندما سمع واحدًا يقول له "ما شاء الله وشئت" ينتفض النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: (أجعلتني لله ندًا)! عندما يقول أحدهم للنبي صلى الله عليه وسلم: "إن مدحي زين وذمي شين"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ذاك الله)[٣]! ينسب كل شيء إلى الله سبحانه وتعالى. عندما ذهبوا للنبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله سَعِّر لنا؛ أي ضع لنا تسعيرة، قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ هوَ المسعِّرُ القابضُ الباسطُ الرَّازقُ)[٤]، يعني أن الله بترتيبه للأقدار والأرزاق هو الذي يضع هذه الأسعار. الشاهد؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يربط الناس بالله.

{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ}[الأنعام ٨٨-٨٩] أي أن الله عز وجل عندما يصطفي أناسًا للهداية لا يتركهم هكذا، لكن يُنَزِل عليهم آيات بينات تهديهم ويهدون بها غيرهم! أي أن الله عز وجل عندما يهدي أناسًا يعطيهم آيات يهدون بها غيرهم! كما قال ربنا {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ}[الأنعام ٨٣] لما هدى الله عز وجل إبراهيم إلى طريق الحق آتاه الحجة ليهدي بها غيره، أي أن الله عز وجل يوفق الإنسان الصادق الذي يطلب رضا الله عز وجل الله يوفقه للحق. والله عز وجل يعطيه من الحجج ما يهدي به غيره، الله عز وجل يحب الخير للناس، الله يريد بالناس اليسر، لذلك تجد الله عز وجل يعطي ثواب على الدعوة إليه ثوابًا عظيم جدًا، والإنسان الذى يعمل في الدعوة يجد من الفتح والتوفيق والسداد في حياته الدنيوية

[٣] أنَّه قال له [أي رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّم] رجلٌ ما شاء اللهُ وشئتَ، فقال: أجعَلتَني لله نِدًّا؟ قلْ ما شاء اللهُ وحدَهُ
ابن القيم (ت ٧٥١)، الجواب الكافي ١٠٢ • ثابت

[٤] [عن أنس بن مالك:] غلا السِّعرُ على عهدِ النبيِّ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللهِ سعِّرْ لنا، فقال: إنَّ اللهَ هو المُسعِّرُ القابضُ الباسطُ الرازقُ، وإني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحدٌ منكم يطالبُني بمظلمةٍ في دمٍ ولا مالٍ
ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢)، الإلمام بأحاديث الأحكام ٥١٢/٢ • [اشترط في المقدمة أنه] صحيح على طريقة بعض أهل الحديث • أخرجه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠)، وأحمد (١٤٠٥٧) باختلاف يسير.

والدينية ما لا يعلمه إلا الله، لماذا؟! لماذا يحببنا الله في الدعوة؟ لكي تهدي الناس إليه، لماذا؟ لأن الله عز وجل يحب الناس ويريد بهم الخير. الله يريد أن كل الناس تسلك هذا الطريق لينجيها يوم القيامة.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} هذه الثلاثة قد تجتمع في نبي و قد تتفرق، ليس كل الأنبياء أخذوا الكتاب والحكم والنبوة، قيل الحكم هنا: بمعنى الملك مثل داوود وسليمان، وقيل الحكم هنا بمعنى: الحكمة والفهم الكامل لآيات الله عز وجل على اختلاف ما بين المفسرين. الشاهد؛ إن هذه الثلاثة قد تجتمع في نبي وقد تتفرق وليس كل الأنبياء أوتوا كتبًا، المهم كلهم أوتوا النبوة {آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} وأيضًا لو الحكم هنا بمعنى السلطان والملك أي أن الكتاب نزل ليحكم بين الناس { آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ}، {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ}[النساء ١٠٥] إذًا الكتاب نزل ليحكم! الكتاب لم ينزل لمجرد القراءة، **بل الكتاب نزل ليُقرأ ويُتلى ويُعلِم ويُعمَل به ويَحكم ويُجاهد به ويُهدى به** {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[الاسراء ٩] **في كل شيء في حياتنا.**

{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ}[الأنعام ٨٩] هذه الآية المفسرين اختلفوا فيها وهذه نقطة مهمة نتحدث فيها.

من أكثر أسباب اختلاف المفسرين الضمائر التي في الآيات وعلى من تعود؟ مثل قول الله عز وجل: {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ} اسم الإشارة هؤلاء يعود على مَن؟ {فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا} من هؤلاء القوم؟ فعلى مَن تعود؛ سواء اسم الإشارة أو النكرة أو الضمير؟ وبناء على الاختلاف يكون هناك اختلاف في تفسير الآيات، مثل قول الله عز وجل {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ}[ابراهيم ٩] واو الجماعة في "ردوا" تعود على من؟ {أَيْدِيَهُمْ} "هم" تعود على مَن؟ {فِي أَفْوَاهِهِمْ} أفواه مَن؟ هل رد المشركون أيديهم في أفواه الرسل؟ أم رد المشركون أيديهم في أفواه أنفسهم؟ الضمائر تعود على مَن؟ إذًا على حسب اختلاف الضمائر يحدث اختلاف في تفسير الآيات.

فهنا كثير من المفسرين قال: {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ} أي مشركو قريش، وأن هذه الآيات كلها من بداية السورة تخاطب مشركي قريش لكي يسلموا، فإن يكفروا بكل هذه الآيات الواضحات البينات التي استمرت السورة في توضيحها وتبيينها، وذكرت أعلى الحجج في إيمان إبراهيم وهدايته لقومه، وحجة الله عز وجل التي أتاها إبراهيم على قومه، فإن يكفر هؤلاء المشركون -أي مشركو مكة- بكل هذه الآيات

{فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا} أي من الأنصار في المدينة أو من المهاجرين الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم {قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ}.

وقيل {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ} أي الأنبياء، أي لو ترك -حاشاهم- الأنبياء هذا الطريق، لوَكَّل الله عز وجل بهذا الطريق غيرهم، أي لاستبدلهم الله عز وجل وليس أحد بعزيز على الله عز وجل.

لكن غالب الأقوال أن {هَؤُلَاءِ} تعود على مشركي قريش. وقيل: {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ} أي: أهل الأرض جميعًا، لو كفروا يُنزل الله عز وجل من السماء من يحمل هذا الدين. الشاهد؛ كما قال الشيخ الطريفي الكلمة الرائعة: "إن هذا الإسلام رداء لا يسقط على الأرض أبدًا، فإذا نزعه أقوام ألبسه الله لآخرين"!، إذا نزعه أناس -نعوذ بالله من ذلك- إذا ارتد عنه أناس {مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} بمجرد ما يرتد عن دينه مباشرةً {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ}[المائدة ٥٤] هذا هو معنى الآية. {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ } أيًّا كان "هؤلاء" تعود على مَنْ.

المعنى الذي نريده من الآية؛ **إياك أن تعتقد أن الدين يقف على أحد!** اعلم أن الثغر الذي تفكر أن تتركه هناك واحد يستعد ليدخل مكانك مباشرةً، إياك أن تظن أن الدين يقف عليك! الثغر الذي تتركه مباشرةً يأتي أناس، يُقيِّض الله عز وجل أناسًا يحملون هذا الدين، إياك وأنت ذاهب تعمل للدين تقول: نعم، الدين محتاج فالواحد مضطر أن يضغط على نفسه... لا؛ بل أنت المحتاج!.. الله عز وجل ينصر هذا الدين ولو بالرجل الفاجر! الله عز وجل ينصر هذا الدين ولو بغير أسباب! الله عز وجل ينصر الدين **بالغنم** غنم أبي بكر كانت تمحو آثار أقدامهم! **الحمار** لما يرى الشيطان ينهق، الله عز وجل جعل الحمار يُعْلم الناس أن هناك شيطانًا! الله عز وجل جعل **الديك** يُعْلم الناس أن هناك ملكًا! الله عز وجل ينصر الدين بأي شيء **فإياك أن تظن أن الدين محتاج لك، نحن المحتاجون.**

إن كان هناك مؤمن واحد فقط بقضية نشر القرآن في الأرض، نشر الدين في الأرض، تعليم الإسلام، الدعوة إلى الله... أي قضية أنت مؤمن بها؛ اعلم أنك لو تركتها الله عز وجل سيستبدلك ويأتي بخيرٍ منك يحمل هذه القضية! فهذه الآية مرعبة، خاصةً على القول -وإن كان غالب المفسرين ضعفوه- على قول "هؤلاء" تعود على الأنبياء تخيل ربنا يقول: ليس بأحد عزيز على الله! الذي سيترك ربنا سيستبدل مكانه!.. أو أولًا كمراحل ربنا يعاقبه، ربنا يُعْلمه أنه مخطئ، عندما تقرأ آية {إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}[الصافات ١٤٠] سيدنا يونس -عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم

التسليم-، و كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا أنا خير من يونس بن متَّى)[٥]، الشاهد؛ {إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}[الصافات ١٤٠] أول ما ترك المكان بدون إذن ضيَّق الله عز وجل عليه {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ} أي: لن نُضيِّق عليه، {فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[الأنبياء ٨٧] فتاب فأعاده الله عز وجل.

الشاهد؛ **اعلم أنك لو تركت مكانك ستُعاقب! نصرة الدين ليست لعبة!** أنا أعلم أني أقول كلام - ربنا يثبتنا- أنا سأحاسب عليه أولًا، فالواحد يخاف أن يتكلم مثل هذا الكلام... لكن اعلم أنك لو تركت مكانك فستُحاسب! نصرة الدين ليست لعبة، أي أنك مثلًا تتعلم علمًا شرعيًّا أو الدعوة إلى الله عز وجل أو يَمنُّ الله عز وجل عليك بأي ثغر: عمل خيري... أي عمل لنصرة الدين، **لو ربنا علَّمك في هذا الثغر أشياء وفتح عليك في هذا الثغر؛ اعلم أنك لم تعد مخيرًا أن تتركه!**

هناك أعمال في الشرع تلزم الإنسان بالشروع فيها، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، هناك أعمال في الشرع تلزمك، ما معنى تلزمك؟ أي تصبح واجبة عليك بعد أن كانت نفلًا! طالما أنت شرعت فيها مثل الحج، عندنا الحج النفل لو شرعت فيه ليس من حقك أن تتركه في المنتصف، يجب أن تكمله بالرغم من أنه نفل أصلًا.

كذلك مثلًا الجهاد لا يجوز حتى لو جهاد نفل وأنت في منتصف المعركة تقول لا أنا سأولي الدبر! لا، هناك أعمال في الشرع... أنت وقفت على ثغر وربنا علَّمك واستعملك وفهمت ثم تجيء في منتصف الطريق تقول: لا أنا مللت، مللت من الدروس والدعوة، أذهب أرى شيئًا آخر أفعله، أنت ستعاقب! سيُضيق عليك! هذا لو ربنا يريد بك خيرًا، وإلا يكون استدراجًا.

بعدما فتح الله على شخص في الدعوة مثلًا وجاهد وقاتل الظالمين ونصر هذا الدين ثم يقول: لا أنا أترك هذه القصة وأذهب لآخذ عقد عمل، ولا أزعج نفسي، هذه الخاطرة العابرة لما جاءت على بعض الأنصار، حديث أبي الدرداء فيما أذكر في قول الله عز وجل:

{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}[البقره ١٩٥] قال لما انتشر الإسلام وكَثُرَ ناصروه، لما أعزَّ الله الإسلام وكَثُرَ ناصروه، قلنا سرًّا بيننا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم نقل

[٥] [عن عبدالله بن مسعود:] لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ مِن يُونُسَ زادَ مُسَدَّدٌ: يُونُسَ بنِ مَتّى.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٤١٢ • [صحيح]

لرسول الله صلى الله عليه وسلم- لو أننا أقمنا في أهلنا وتركنا الغزو!... يكفي هذا نحن نقاتل من أيام بدر، نحن الآن بعد فتح مكة يكفي هذا، انتهى، ربنا فتح مكة والدين بدأ ينتشر وبدأ يخرج خارج مكة وينتشر في الدنيا كلها، يكفي! فأنزل الله عز وجل: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }[البقره ١٩٥] فكانت الإقامة -الإقامة في الوطن- وترك الغزو هي التهلكة! عكس المتبَادر للذهن، **كانت الإقامة في الوطن وترك الغزو، وترك الإنفاق في سبيل الله هي التهلكة.**

إذًا {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ} اجعلها شعارًا عندك، لو تركت مكانك {فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ}[الأعراف ٨٩] إياك لما تصبح داعية لشيء تتركه {وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ }[البقره ٤١].

{فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}[الأنعام ٨٩-٩٠] استمرار معنى الهداية هنا أي أن الأنبياء -حتى لا يتبادر إلى الذهن من قصة سيدنا إبراهيم أن الإنسان ممكن يفهم الدين وحده-، لا، لا بد أن ينزل وحي! وهذا من حِكَم تكرار كلمة هدى الله { ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ}[الأنعام ٨٨]، {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}[الأنعام ٩٠]، لماذا تكرر في كل آية أن الله هو الذي هداهم، ربنا الذي علمهم، ربنا الذي آتاهم الكتاب والحكم والنبوة؟!.. هذا كالمقدمة للآية التالية {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ }[الأنعام ٩١] حتى لا يظن أحد أنه يمكنه أن يصل للهداية بدون وحي، **الإنسان والبشرية كلها في حاجة إلى الوحي**. سنتكلم عن هذا الموضوع في الآية التالية.

{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[الأنعام ٩٠] هنا بالطبع يأتي في التفاسير مسألة -لكن هي خارج إطار تفسير الآيات- شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أو ليس شرعًا لنا؟ والذي عليه المحققون أنه شرع لنا ما لم يأتِ في شرعنا نص يخالفه.

{قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ}[الأنعام ٩٠] هذا الوحي وهذا الدين لا بد ونحن نبذله لا نأخذ مقابله أجرًا، أكثر شيء يجلب لك التهمة أنك تعرض الدين ظاهريًّا أمام الناس مقابل شيء، أنا سأعلمك الدين لكن تعطيني صوتك! أنا سأعلمك الدين لكن تعطيني مالًا! أنا سأعلمك الدين لكن تعطيني منصبًا! لا، بل يجب {لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} هذا يجب أن يكون شعارًا في الدعوة.

[مداخلة من الحضور... يجيب الشيخ: {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} هي أصلها "اقتدي"- فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والهاء للسكت تقف عليها، هي أصلها فبهداهم اقتدي، سأبحث فيها لاحقًا، هذا الذي أذكره]

{فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ * قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} الخطاب هنا عاد للنبي صلى الله عليه وسلم مع قومه ونحن قلنا كلمة "قل" تكررت أكثر من أربعين مرة في السورة. {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ} **عالمية القرآن وعالمية الرسالة**، لا بد أن يستشعر الإنسان دائمًا أن رسالته رسالة عالمية! أي هو ينتمي ومؤمن بدين، هذا الدين نحن مطالبون أن نبلغه للعالم كله

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[الفرقان ١]،

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[ابراهيم ١]

تخرج الناس كلها من الظلمات إلى النور! {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}[الأعراف ١٥٨]، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان كل رسول يبعث في قوم خاصة وبُعثتُ إلى الناس عامة)[٦] رسالة عالمية!

نكمل {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[الأنعام ١٩١]،

هذا الجزء من الآية {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} تكرر ثلاث مرات في القرآن... هنا في سورة **الأنعام**،

وفي سورة **الحج** بعد آية {ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ}[الحج ٧٣] في قوله تعالى {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}[الحج: ٧٤]

---

[٦] [عن جابر بن عبدالله:] أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي المَغانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامَّةً.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٣٥ • [صحيح]

و في آخر سورة **الزمر**

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}[الزمر ٦٧].

مشهد سورة الزمر في البعث يوم القيامة... ومشهد سورة الحج في الخلق

{لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ}[الحج ٧٣]... **ومشهد سورة الأنعام في الوحي**، وكأن ربنا يعلمنا خطورة غياب تلك الثلاث عن البشر!

وأغلب الطعون التي يُطعن بها في دين الإسلام أو في أي دين تكون في هذه الأمور الثلاثة:

١- أن الله عز وجل هو الخالق؛ والذي يطعن في ذلك هم الملحدون.

٢- أن الله عز وجل هو الذي يبعث؛ والذي يطعن في ذلك هم المشركون.

٣- أن الله عز وجل أنزل وحيًا؛ والذي يطعن في ذلك هم منكرو الوحي.

هذه الأمور الثلاثة: الله عز وجل الخالق، الله عز وجل يبعث للدار الآخرة، الله عز وجل أنزل وحيًا سنُحاسب عليه بعد البعث.

كل أمر من هذه الأمور تضرب طائفة من الطوائف الضالة. وأي أحد يطعن في أي من هذه الأمور الثلاثة -في قدرة الله على البعث، أو أن الله عز وجل أنزل الوحي، أو أن الله عز وجل هو الخالق- هو لم يقدر الله حق قدره، ويطعن في صفات الله عز وجل! وسنتحدث اليوم عن آية سورة الأنعام: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ..}[الأنعام ٩١].

أكبر جريمة في الحياة [**إبعاد الناس عن الوحي**]

إبعاد الناس عن الوحي أشد جرمًا من محاولة إطفاء الشمس! يقول الله تعالى:

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}[الصف ٨] فالذي يريد -ولن يستطيع- أن يطفئ نور الشمس، والذي يريد أن يمنع الماء عن الناس هو مجرم في حق البشرية كلها، لكن الذي يريد أن يبعد الناس عن الوحي أشد جرمًا منه! نحن غير قادرين على استيعاب مدى خطورة إبعاد الناس عن الوحي! أن تنقطع الأرض عن السماء: هذه مصيبة! قطع صلة الأرض بالسماء، وقطع الناس عن ربهم: هذه مصيبة! فكيف يتصل الناس بربهم إذا لم يكن هناك وحي؟ كيف نعرف مراد الله؟ كيف ننجو؟ كيف نعرف كيف

نختلف وكيف نعيش؟ كيف نعرف الأسباب التي تهيئنا للبعث للحياة الخالدة، لنعيم الجنة، لرؤية وجه الله؟! مجرم ذلك الذي يقول: {مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}[الأنعام ٩١]! هذه أكبر جريمة على وجه الأرض! يقول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ}[الأنعام ٩٣].

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[الأنعام ٩١]! الذي يقول: ليس هناك وحي هو يتهم الله! وعلى شاكلته من يقول: أن الوحي كان على أيام النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن لا نحتاج القرآن اليوم، ولا نستطيع تطبيقه في هذا الزمان!!! أو أن القرآن لا يصلح لكل زمان ومكان، أو أنه ليس رسالة عالمية!!! فالذي يقول هذا مشترك في نفس الجريمة!!! ولذلك أتبعهم الله بذكر الذي نسب إلى الله ما لم يقله؛ قال أن هناك وحيًا، ثم ادعى كلاما نسبه إلى الله، فهذا قد {افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}، أو أنه ادعى أنه سيأتي ببديل {أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ}[الأنعام ٩٣].

كل هذه محاولات لصد الناس عن الوحي، كل هؤلاء مجرمين! وعقابهم هو {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ}[الأنعام ٩٣]؛ فهؤلاء أشد الناس إجرامًا!

لماذا؟

أولًا: هو يسيء الظن في الله. -وقلنا سابقًا: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} في ثلاثة أمور: **الخلق كما في سورة الحج، والبعث كما في سورة الزمر، والوحي كما في سورة الأنعام**، من المهم أن يظل هذا المثلث في ذهننا. فهو يظن أن الله عز وجل يخلق الخلق، ثم يتركهم بدون وحي ولا يعرفهم كيف يعيشون! كيف هذا؟ هذا الأمر ينافي العقل!

لذلك لما أراد فلاسفة الإغريق أن يهربوا من هذا الموضوع، فقالوا: الإله أعظم من أن يهتم بالتفاصيل الدقيقة، فخَلَق الخلق وتركهم يكملوا وحدهم، وأعطى البشر عقلًا؛ حتى يعيشوا وحدهم!... يريدون أن يهربوا من سلطة الوحي!

دعونا نعود للوراء قليلًا ونسأل: لماذا قد يقول الناس: {مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}؟ ما الدافع الرئيسي وراء قوله هذا؟!>>> **رفض التكليف!**

نعود للمثلث: فالله سبحانه خلق الخلق، إذًا لن يتركهم سدى، فأنزل لهم وحيًا سيحاسبهم عليه، ثم يبعثهم. المثلث: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} كما في سور: الحج والأنعام والزمر.

إذًا هو يريد أن يهرب من التكليف، فإما أن يقول -والعياذ بالله-: ليس هناك بعث ويفعل ما يشاء، أو يقول: أن الله ليس هو الخالق أصلًا، أو يقول: الله خلق وهناك بعث لكن ليس هناك وحي! لو أنه قال هناك بعث لكن ليس هناك وحي، نسأله: على ماذا سنحاسب إذًا؟! يقول: كل إنسان يفعل ما يشاء، لكن أهم شيء أن يكون الإنسان جيدًا.. تسأله: "جيد" في مفهوم من؟ من الذي يحدد هذا "الجيد"؟ يقول: في مفهومكم كلكم! فكل شيء نسبي، وليس هناك حق مطلق. الذي يقول هذا الكلام مجرم! فهل من المعقول أن الله الرحيم اللطيف الذي خلق الخلق ويرزق البشر ويرزق النملة في جحرها لا يُعلمنا كيف نعيش!

الإمام محمد عبده -عفى الله عنه- له كلام رائع في أن بالعقل والمنطق البشر يحتاجون لوحي، وأن الفطرة تقول أننا نحتاج للوحي! وقد ذكر هذا الكلام محمد رشيد رضا رحمه الله في تفسير المنار، واقتبسه من رسالة اسمها "رسالة التوحيد" لمحمد عبده.

فالإنسان -من اسمه- يحتاج إلى أنس، ويحتاج أن يعيش مع غيره، فالإنسان بفطرته كائن اجتماعي. وعندما يعيش الناس مع بعضهم البعض، حتما سيختلفون، فأي رأي سيطبقونه؟ معنى عدم وجود وحي أن العالم أصبح كالغابة والأقوى هو الذي يفرض كلمته! فالذي لديه السلاح سيسيطر على العالم و يفرض مفهومه البشري!.. وكما هو مشاهد؛ البشر يفسدون الأمور عند التحاكم إلى عقولهم وأهوائهم! لذلك يُروى عن بعض السلف -ذكره الإمام الطبري وغيره في التفسير- قال: "إذا أردت أن تعرف جهل العرب، فاقرأ ما بعد المائة من الأنعام". نجد أنهم يقولون خرافات! يقول -مثلًا-: ضع الأكل هنا، فإذا نقلت الريح بعضًا من الأكل يذهب للآلهة! وهذه الدابة لا تركبها إذا جاوزت عددًا معينًا من الأعوام! والبنت يجب أن توأد!!!

إذا نظرنا في بعض التشريعات البشرية -وخاصةً في مجال العبادة- نجد أن الإنسان الذي يحاول أن يعبد الإله بعيدًا عن الوحي يُخرّف ويأتي بأشياء لا يصدقها عقل!

ونحتاج إلى من يجمع هذه الأمور: كيف أن العقل إذا تُرك وحده يضع تشريعات مليئة بالتخريف.

فالله عز وجل خلق العقل، لكن العقل عليه مؤثرات: كالخوف من شخص، أو الخوف من البطش، أو الخوف على الرزق، أو مشاعر معينة تحركه فيحب شخصًا أكثر من الآخر. الذي يضبط تلك المؤثرات على العقل والمشاعر **الوحي والقواعد الموجودة فيه!** فالله سبحانه ترك للعقل مساحة واسعة، لكن في نفس الوقت وضع قواعد. فالوحي نزل بقواعد عامة.

قد يقول قائل: **ما هو دور الشريعة؟** هل جاءت الشريعة لتحل المشكلة التي بيني وبين المصالح الحكومية أو التفاصيل الدقيقة في الحياة؟ نقول: جاء الشرع بمحكمات كلية وقواعد كلية، وتفاصيل دقيقة في بعض الأشياء، وأشياء أخرى تركت مفتوحة أمام العقل البشري؛ ليستفيد فيها من التجارب البشرية. عندما يتم انتزاع هذه القواعد وهذا الوحي من الناس نعيش في غابة!

إذًا من ينفي نزول وحي ويقول{مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}[الأنعام ٩١]! هو إنسان مجرم يتهم الله عز وجل، ويسيء الظن في الله، ويسب الله عز وجل... ويتساوى معه في الإجرام -كما قلنا- أي وسيلة لقطع الناس عن الارتباط بالقرآن! فسواء الذي افترى على الله الكذب، أو الذي قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء، أو الذي قال سأنزل مثل ما أنزل الله، **كلهم متساوون في الجريمة!** النتيجة واحدة وهي: صرف الناس عن القرآن.

في واقعنا المعاصر -كما قلنا- هناك من يقول: القرآن غير صالح للتطبيق في هذا الزمان، أو يقول أن القرآن له تفسير باطني وليس المقصود به الآيات والحدود الظاهرية، والتفسير الباطني غير معروف، ولذلك هو نسبي، ولذلك لا نحتاج إلى التفسير، والقرآن يصلح لدور العبادة فقط! **كل هؤلاء يقومون بنفس الجريمة.**

العلمانية أيضًا مشارِكة في نفس الجريمة... كل إنسان أو أي فكرة هدفها فصل الناس عن الارتباط بالوحي والنصوص الشرعية من القرآن والسنة هو مجرم، ما قدر الله حق قدره، هذا الشخص لا يعرف قدر الله سبحانه وتعالى!

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ}[الأنعام ٩١] مسيرة الأنبياء التي خُتمت بكتاب التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن: **من الذي أنزل هذا الهدى؟ الله عز وجل** {قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُ

قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا}[الأنعام ٩١] وهنا حصل نقلة عجيبة في الآيات جعلت المفسرين في حيرة.

أولًا: مَن المقصود في قوله تعالى: {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا}؟ **اليهود**. -وسنتحدث عن معنى {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ} بعد قليل-.

الخطاب في الآيات السابقة كان **للمشركين**؛ {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام ٩٠] فهذه الآية خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين. ثم يقول تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}[الأنعام ٩١]، هنا اختلف المفسرون في: من الذي قال {مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}؟ اختلف المفسرون؛ بعضهم قال: المشركون، وأنهم من شدة ضغط النبي صلى الله عليه وسلم عليهم -كما مر معنا من أول السورة وتكرار كلمة {قُل} في الآيات- من شدة الضغط قالوا: أنت لست رسولًا وليس هناك وحي أصلًا، مع أنهم كانوا يذهبون لأهل الكتاب ويسمونهم "أهل العلم" و" أهل الكتاب" وكانوا يشعرون بالنقص لأن ليس معهم علم مثلهم... حتى قالوا: {لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ}[الأنعام ١٥٧] لو معنا كتاب مثلهم سنؤمن، فهم يعترفون أن عندهم كتاب لكن بعضهم يقول هذا الكتاب ليس لنا بل هو خاص باليهود، فربنا يرد على المشركين قائلًا: {مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ}[الأنعام ٩١].

إذًا؛ هناك من قال أن قائل {مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ} هم مشركو قريش، قالوه والنبي صلى الله عليه وسلم يجادلهم ويحاججهم وأتى لهم بقصة سيدنا إبراهيم، وقال لهم: الله سبحانه وتعالى هدى إبراهيم وآتاه الحجة على قومه وكل الأنبياء هؤلاء هداهم الله وأنزل عليهم وحيًا وأنا في ختام هذه المسيرة فمَ تعجبون!! فماذا فعلوا؟ نسفوا كل ما مضى وكفروا بما كانوا يؤمنون به من قبل أنه هناك أنبياءً ونزل عليهم وحي، فبدلوا قولهم.

وهذه نقطة مهمة جدًا؛ **خطورة أن تجادل وأنت لا تريد الوصول للحق**... قد يصل بك التعصب لمذهبك أن تكفر بمبادئك وقناعتك فقط لتنتصر على من يجادلك! هذا ما فعله المشركون.

قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألستم تؤمنون بإبراهيم؟ قالوا: نعم، ألستم تؤمنون أنه كان رسولًا؟ نعم؛ سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء. فقد أنزل الله الوحي على إبراهيم وأنزل الوحي على كل الستة

عشر نبيًا الذين ذكرتهم وأنا في ختام هذا، فلم تنكرون الوحي؟! قارنوا بين ما جئت به من وحي وبين كلام الرسل السابقين، أنا أدعو إلى التوحيد والكتب تدعو إلى التوحيد، أنا أدعو إلى طاعة الله عز وجل ولا أسألكم أجرًا وكذلك كل الأنبياء، قارنوا لتعلموا أنه من مشكاة واحدة!

فكان ردهم: {مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَر مِّن شَىء}!

بعض المفسرين ذكروا أثرًا مرسلًا عن سعيد بن جبير –وهو تابعي لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم –، فيه أن الذي قال هذا الكلام يهودي اسمه مالك بن الصيف... تخيل!

كان يهوديٌ يتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يجادله، وكان مالك بن الصيف حبر سمين من أحبار اليهود، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟)[٧] فمالك بن الصيف شعر بالإهانة، فماذا قال؟ قال: {مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَر مِّن شَىء} انظر إلى التعصب والحمية والعصبية كيف جعلته يكفر بدينه فقط لينتصر على النبي صلى الله عليه وسلم! فلما عاد إلى اليهود قالوا له ما الذي قلته؟! – يعاتبونه– وفي بعض الروايات أنهم نزعوا منه مرتبة الحبر.

والإمام البغوي له تعليق جميل جدًا على هذا الأثر. وانتبه لكلامه لأننا للأسف هذه الأيام نعاني من هذا الأمر، حتى مع بعض الإخوة الذين أحيانًا تصل بهم الحمية والرغبة في الانتصار في النقاشات إلى الكفر ببعض المبادئ التي يؤمنون بها! فأحيانًا الحمية تأخذ الإنسان لهذه الدرجة، فيقول البغوي رحمه الله: "قد يبلغ الحمق بصاحبه إلى حد أن يتبرأ فيه من مذهبه ومعتقده إغاظةً لخصمه على زعمه، ولكن بوادر اللسان في حق المولى لا تغتفر!" أي ليس معنى أنك فعلت ذلك حميةً فأخطأت في حق الله أن الله سيتجاوز عنها.

[٧] عن سعيد بن جبير قال : (جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف ، فخاصم النبي صلى الله عليه وسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ قال : وكان حبرا سمينا ، فغضب وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء . فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا على موسى؟ قال : ما أنزل الله على بشر من شيء ، فأنزل الله عز وجل : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام ٩١].

رواه ابن أبي حاتم في "التفسير" (١٣٤٢/٤) ، وابن جرير الطبري في "جامع البيان" (٥٢١/١١) كلاهما من طريق يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة القمي ، عن سعيد بن جبير به .

لما قرأت هذه الكلمة تذكرت حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك)[٨].. كان هذا الرجل كلما مر على أخيه قال له: "تب وانزع"، فيرد عليه: "ذرني وربي"، فلما شعر الرجل الطائع العالم أنه يُهزم في النقاش قال له: "والله لا يغفر الله لك"! فقال الله عز وجل كما في الحديث: (من ذا الذي يتألى علي؟! قد غفرت له وأحبطت عملك).

خطيرة جدًا النقاشات التي تكون هدفها الانتصار للنفس، انظر لقول الله عز وجل: (قد غفرت له وأحبطت عملك)! أعجبني قول البغوي: "بوادر اللسان في حق المولى تعالى وتقدس مما لا تغتفر"!

لذلك بدأ الله الآية بـ{وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ}، احذر أن تدخل نقاشًا كل ما تبتغيه منه هزيمة خصمك وتهليل الناس لك كما يحدث الآن على "الفيس بوك" تحول الأمر لمصارعة! ما هذا؟! أهذا بحث عن الحق؟! أهذا هو الوحي الذي نزل من السماء؟! أهذه طريقة البحث عنه؟! خطر جدًا، لذلك من العجيب أن هذه الآية-وكلا السببين يصح في الآية سواء المشرك أو اليهودي- أتت بعد قصة سيدنا إبراهيم كأن الله بعدما قال {وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ} [الأنعام ٨٣] كأن الله يقول للنبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء لا ينقصهم الحجة -سواء كان مشركًا أو يهوديًا-الحجة واضحة قد آتاها الله سيدنا إبراهيم والذي يريد الوصول للحق يصل بأقل شيء، لكن هؤلاء يلجون في العناد!

كما ذكر الإمام الطبري في بعض الروايات أن اليهود بعدما نزعوا منه -مالك بن الصيف- الحبرية أعطوها لكعب بن الأشرف، وكعب بن الأشرف نفسه في بعض الروايات التي ذكرها الإمام الطبري أن بعض المشركين لما ذهبوا يسألون اليهود من أقرب إلى الإيمان؟ نحن -المشركين- أم هذا الرجل الذي انتبر من قومه؟ -يتكلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم- قالوا لليهود نحن نصل الرحم ونقري الضيف ونطعم المسكين وهذا الرجل فرق بين الوالد وولده! فاليهود قالوا للمشركين: أنتم أهدى منهم سبيلًا!

{أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا}[النساء ٥١] اليهود الذين عندهم التوراة والتوحيد والوحي -وهم طبعًا يعرفون

[٨] [عن جندب بن عبدالله:] أَنَّ رَجُلًا قالَ: واللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللَّهَ تَعالى قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ، أوْ كما قالَ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٦٢١ • [صحيح]

الحقائق حتى التي حرفوها- يقولون للمشركين عباد الأوثان -وليس لهم علاقة بهم أصلًا، ولكن عنادًا للنبي صلى الله عليه وسلم- يقولون للمشركين: أنتم أهدى من الذين آمنوا سبيلًا!

وفي بعض الروايات أيضًا قالوا: لن نصدقك حتى تسجد للأصنام فسجد للأصنام! انظر إلى ماذا أوصله عناده مع النبي صلى الله عليه وسلم! ولما عرف حقيقة وصف النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في التوراة وسأله المشركون عن موقفه وهل نتبعه؟ قال: "عداوته ما بقيت"!

العناد يؤدي للكفر {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ}[الأعراف ١٢] العناد خطر عظيم لأنه يجعلك تنتصر لنفسك {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} هو لا يبحث عن رضا الله هو يبحث عن انتصار لنفسه وهذا خطر جدًا!

فماذا نفعل إذًا؟ هنا **تقول وتتركهم**: {قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[الأنعام ٩٣] لا تكمل! النقاشات هنا لن تجدي، أحيانًا تسمع نقاشات، فتُستفز وتريد أن ترد وتتكلم، لكن الله يقول لك: {قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} **هذا خوض**، هذا ليس بحثًا عن الحق، وليس نقاشًا، بل سماه الله خوضًا، الخوض أصلًا معناها: الذي يسير في بركة عكرة فلا يرى رجله ولا يرى الأرض، ولا يدري أين يضع قدمه، ولا يدري ما قد يحدث له، وكذلك الذي يتناقش لأجل الانتصار قد يذهب بنفسه لمصيبة... كالذي يسير في بركة يمكن أن يهوي في حفرة أو يُؤذى بأي شيء! كذلك هذا الذي يخوض، يسير في غير طريق، في متاهة {قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرهُم فِى خَوضِهِم يَلعَبُونَ} وهذا لعب، سماه الله خوضًا وسماه لعبًا. فعندما تجد النقاش تحول لشجار ومصارعة وفريقين كلاهما يبحث عن الانتصار اصمت! {ثُمَّ ذَرهُم} واتركهم كيلا تنتصر لنفسك.

{قُل مَن أَنزَلَ ٱلكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورا وَهُدى لِّلنَّاسِ} قلنا الذي قال {مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَر مِّن شَىء}[الأنعام ٩٣] إما اليهود أو المشركون.

وهنا جعل الله جريمة {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ} ضمن جريمة {مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَر مِّن شَىء}[الأنعام ٩٣] لأن جريمة تقطيع الدين؛ قطعه وعرضه على الناس أجزاءً وإخفاء أجزاء تمامًا كجريمة {مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَر مِّن شَىء} كيف؟ أيعقل أن الذي عرض جزءًا من الدين وأخفى جزءًا مثل الذي أخفى الدين كله؟! أيعقل أن الذي عرض جزءًا من الدين وأخفى جزءًا كالذي أخفى الدين كله؟! نعم!

لماذا؟ **لأن الدين وحدة متكاملة** {ادْخُلُوا فِي السِلْمِ كَافَةَ}[البقره ٢٠٨] تحدثنا في هذه المسألة بالتفصيل في شرح خواتيم سورة الحجر في قول الله عز وجل: {الّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِين}[الحجر ٩١] أي قطعوه، وهنا نفس المعنى في قوله: {تَجْعَلُونهُ قَرَاطِيسَ}[الأنعام ٩٣]. من كرم الله علينا ومن إلهام الله عز وجل لهذه الأمة التي حفظها الله عز وجل من الضلال؛ أن وفقها لجمع المصحف في كتاب واحد، حيث كان القرآن في عهد الصحابة مكتوب في الرقاع وعلى العظام وغير ذلك... مفرق، كانت هذه الثُلة الفاضلة لا يخشى عليها من التحريف والتبديل، لكن مع دخول أجيال جديدة في الإسلام فهؤلاء يُخشى أن يبدلوا، فألهم الله عز وجل الصحابة بجمع المصحف. لكن اليهود لم يضعوا كتابهم في كتاب واحد حتى لا يُعرض كله على الناس، بل قسموه ملفات صغيرة، قراطيس... وأظهروا وأخفوا حسب أهواءهم. فينظروا هذا الجزء عن الأخلاق نعرضه للناس لابأس، هذا عن الحدود والسرقة والزنا هذا نخفيه، هذا عن الولاء والبراء نخفيه، هذا عن تحكيم الشريعة لا هذا لا يظهر، هذا عن سماحة الدين نعم أظهره... وهكذا

مثلًا؛ إذا سرق أحدهم وهو يكره هذا السارق يخرج قرطاس السرقة ويقيم عليه الحد، أما إذا كان السارق صديقًا أو قريبًا يخفي هذا القرطاس وهكذا- أي شيء ممكن أن يجوز وممكن لا يجوز - **حسب الأهواء**.

{تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا} ثم يقول لك: نحن لا ننكر الشريعة، أهناك وحي؟ يقول نعم هناك وحي وهناك شريعة حسنًا؛ أين هو؟! يظهر الجزء الذي يناسبه... أين الباقي؟! {تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا} هذه كانت جريمة اليهود.

وهذه هي خطورة مادة التربية الدينية التي تُعرض على الطلبة في المدارس؛ أولًا: أن الدين ليس من المجموع الرئيسي للنجاح، و يعرض للطلاب أجزاءً منتقاة من الدين ولا يتلقى من المصحف كاملًا.

فالأصل أن نمر على المصحف كله وندرس ما يقابلنا، فإذا مررنا على سورة الممتحنة وقضية الولاء والبراء نتعلمها، وإذا مررنا على سورة القلم وإطعام مساكين نتعلم منها، وإذا مررنا على أخلاق نتعلمها، وإذا مررنا على قضية البعث نتعلمها، وإذا مررنا على سورة المجادلة أو الأحقاف نتعلم ونتلقى منهم العلم، فنتلقى الدين كله هكذا كاملًا. **إنما أن نتلقى نصوصًا منتقاة وتُغيَّر على حسب الأهواء الشخصية؛ فهذا خطر!** وظاهريًا من يفعل ذلك هو يُعرض عن نصوص، {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ} وهذا

الفعل وضعه الله عز وجل في آية واحدة في قوله تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ} مع نفس جريمة الذي قال: {مَا أَنْزَلَ اللّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيءٍ}.

وأظن أن الإمام البقاعي تساءل؛ على قول من قال أن المذكور في هذه الآية هو مالك بن الصيف وأنه يهودي وغضب اليهود من قوله هذا؛ لماذا قال الله {إِذْ قَالُوا} ولم يقل "إذ قال"؟ قال **لأن اليهود رضوا بهذه الجريمة**، ومظاهر رضاهم في أمرين؛ لم يعنفوه تعنيفًا قويًا بالقتل مثلًا لأن هذا بالنسبة لهم كافر، أو أنهم يجعلونه قراطيس فهم مساوون له في نفس الجُرم، فكيف يغضبون منه وهم قاموا بنفس الجريمة بأن جعلوه قراطيس!

لذلك قال الإمام بن عباس في قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}[المائده ٦٧] أي إن لم تبلغ آية واحدة من القرآن فكأنك لم تبلغ القرآن كله! لأن الدين وحدة متكاملة { ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا}[الأنعام ٩٣]

{وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ}[الأنعام ٩١] هذا الخطاب قيل أنه لمشركي قريش أو للمؤمنين أو لليهود أو غير ذلك. من الذي علمكم هذه الأشياء؟ من الذي علمكم تاريخ الأمم السابقة؟ من الذي علمكم {غُلِبَتِ الرُّومُ}[الروم ٢]؟ ورأيتم فعلًا أنهم {مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}[الروم ٣]. من الذي علمكم هذه الأشياء وقد كنتم جهلة؟ كنتم أميين، لم تكونوا تعلمون شيئًا عن السماوات وعن الأرض وعن الحياة وعن الأمم السابقة؛ مَن؟! {قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[الأنعام ٩١]

[مداخلة من أحد الحضور.... لِمَ جاء التعبير بالكتاب الذي جاء به موسى... وليس مثلًا الكتاب الذي جاء به عيسى؟؟]

رد الشيخ: لأن كتاب عيسى مكمل للتوراة... فالأصل هو التوراة، والإنجيل جاء ليحل ويحرم بعض الأشياء بنص القرآن وعلى خلاف هل كان فيه تشريعات جديدة أم لا؛ هذا السبب الأول. أيضًا أن مشركي العرب كان يجاورهم اليهود فكان التعامل الغالب مع اليهود أما النصارى كانوا بعيدين مثل نصارى نجران –وجاء الرد عليهم في سورة آل عمران–... وهذا تجده كذلك في آيات حديث الجن في نهاية سورة الأحقاف ذكروا {كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ}[الأحقاف ٣٠]

{وَهَذَا كِتَابٌ} مسيرة الوحي متصلة مستمرة لن يستطيع أحد أن يقطعها {وَهَذَا كِتَابٌ} أي القرآن {أَنْزَلْنَاه مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْه}[الأنعام ٩٢] بركة هذا القرآن في أشياء كثيرة جدًا، احتوى عظيم النفع في كلمات قليلة، **بركة القرآن في القلب الذي أنزل عليه** قلب النبي صلى الله عليه وسلم، في النفع { يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[الاسراء ٩] في كل شيء {مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى} وهذا إعجاز أن **مكة** تسمى أم القرى... **لأنها ستصبح أم القرى**.

أتعجب فعلًا عندما كانت تنزل مثلًا آيات في مكة والمسلمون في قمة الاستضعاف ومهددون بالاستئصال، عندما حوصر المسلمون في شِعب أبي طالب وهُددوا بالقتل والاستئصال وتنتهي الدعوة – وهذا لن يحدث– لكن تخيل هو مهدد بهذا، وتأتي آيات تقرر أن القرآن رسالة عالمية وأن مكة أم القرى في العالم! أنا لا أتخيل كيف كان الصحابة في صحراء مكة يتلقون هذه الآيات! **أي يقين هذا!**

مثلما كانوا في الأحزاب وأُحيط بهم ويخاف على نفسه أن يذهب إلى الخلاء ويبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصور كسرى وقيصر! أو النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة وهو مغادر بلده ووطنه ويبشر سراقة بسواري كسرى! كيف كانوا يتلقون هذا! الصحابة كيف كانوا يتلقون هذا!؟

من المعاني التي أستشعرها هذه الأيام وأنا أقول مع الأذان (اللهم رب هذه الدعوة التامة) هي تامة، أتمها الله عز وجل وستتم في العالم! أنت قد تقول (**التامة**) وأنت في قمة الاستضعاف ولكنك موقن أنها ستتم!

نحن رأينا مراحل الازدهار للإسلام في التاريخ، والآن كثر عدد المسلمين ونرى في الحج يتعدى الحجاج ٣ مليون أو ٤ مليون كل عام، لكن وقت نزول هذه الآية كم كان عدد المسلمين حينها؟! كيف كانوا يتلقون هذا المعنى! هذا المعنى العظيم! أن مكة ستصبح أم العالم كله، العالم سيأتيها من كل حدب وصوب؛ هذا سيحدث.

وقبل هذا يقين سيدنا إبراهيم الذي دعا منذ زمن {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا}[ابراهيم ٣٥] {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً من الناس} كلها {تَهْوِي إِلَيْهِمْ} كيف هذا اليقين وهو في صحراء، في وادٍ لا

يصلح للزراعة {وَادٍ غَيرِ ذِي ذَرْعٍ}[ابراهيم ٣٧] ما هذا اليقين؟! كيف كانوا يتلقون هذه الآيات؟! فاستمرار معنى أن القرآن رسالة عالمية وستتم.

{لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} العالم كله،{وَالَّذِينَ يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنونَ بِهِ وَهُم عَلى صَلاتِهِم يُحافِظونَ}[الأنعام ٩٢]

الله يقول للنبي صلى الله عليه وسلم -وهذا المعنى تكرر كثيرًا في السورة- لا تشغل بالك كثيرًا بهم، الذي لا يخاف من الآخرة لن يؤمن كما قال تعالى في آية سابقة {وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ}[الأنعام ٧٠] من يؤمن ويخاف من الآخرة ومصدق أن هناك آخرة هو الذي سيؤمن بالقرآن.

لذلك إذا أردنا ترتيب آيات {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[الأنعام ٩١]؛ الأولى في سورة الحج، والثانية في سورة الزمر، والثالثة في سورة الأنعام. **تؤمن أولًا أن الله هو الخالق، ثم تؤمن بوجود بعث، وبالتالي يوجد وحي سنحاسب عليه**. هذا هو التسلسل الطبيعي لكي يرتقي الإنسان في الإيمان. لكن إذا كان هناك شخص لا يؤمن بالآخرة ولا بالبعث ولا يفكر في مستقبله الأخروي لن يهمه القرآن! لذلك يقول الله {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ} من يؤمنون بالآخرة سيؤمنون بالقرآن. وكرد فعل طبيعي في حياته سيعظم الشعائر {وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}[الأنعام ٩٢].

واستمرارًا لهذه الجريمة ذكر الله بطرق أخرى أن الجريمة ليست مجرد أن يقول {مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}[الأنعام ٩١]، فمن الممكن ألا ينفي أن هناك وحي، ويقال له: من الذي أنزله؟ يقول: الله. وعلى من نزل؟ على الرسول. ما هو هذا الوحي؟! هنا ينسب إلى الله ما لم يقله عز وجل! {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}[الأنعام ٩٣] هذا هو الأخطر.

أنت قد تتوقع أن خطر من يقول {سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ}[الأنعام ٩٣] أشد.. مَن يأتي بوحي مضاد لكن لا؛ مَن يفتري على الله الكذب فيُدخِل للدين ما ليس فيه هو الأشد خطرًا... الأول يقول ويدعي -والعياذ بالله- الربوبية أو الألوهية، يدعي أن لديه القدرة على وضع نظام للبشر، لكنه يعترف أن ذلك ليس من عند الله، أما الثاني فينسب إلى الدين ما ليس فيه، هذا أخطر المجرمين، هذا خطر جدًا.

في الأديان السابقة كان من الممكن أن يحدث هذا بالتحريف، أن يقوم بتغيير كلمة أو مسحها يقوم بتغيير آيات الرجم يضع يده عليها مثلما ورد في الكثير من الروايات عن بني إسرائيل... ولكن كيف يحدث هذا في ديننا؟

بالنسبة للأحاديث الشريفة تجده ينسب أحاديث مكذوبة وموضوعة للرسول صلى الله عليه وسلم هذا بالنسبة للأحاديث، وبالنسبة للقرآن يُؤول المعاني الواضحة فيصرفها إلى غير معناها، فتجد معنى واضحًا صريحًا ومتكررًا في القرآن يصرفه عن معناه، أو تجده وهذا هو الأخطر مثلما قال الله عز وجل: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} بعدها مباشرة {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ}[البقره ٧٨-٧٩] أي أنهم استغلوا أمية هؤلاء الأميين... لأن هناك الكثير من الناس لا يعلمون القرآن، فقد تجد مِن الناس مَن لا يعرف أي شيء عن القرآن، ثم تجد شخصًا ما ينسب إلى القرآن ما ليس فيه، يقول للناس أن الله -سبحانه وتعالى- يقول كذا ويأتي لك بآية في القرآن معناها مختلف تمامًا ولا يوجد أي علاقة بينهم! فينسب إلى الله عز وجل ما لم يقله عز وجل، يضع بعض القواعد الشرعية التي قالها بعض السلف ويحملها ما لا تحتمل، يأخذ آيات ويضربها ببعض، يأتي بالآيات المتشابهات وينسب إليها الدين ويبتعد عن المحكمات، فهذا يحدث بأكثر من طريقة مذكورة بكثرة في القرآن سواء كان بالتبديل أو التحريف أو التغيير، أو اتباع المتشابهات الموجودة في القرآن، كثير من الطرق والأساليب التي يستخدمها المجرمون لإبعاد الناس عن الوحي، {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ}[الأنعام ٩٣]

إذًا هناك من يقول {مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}[الأنعام ٩١] قال: لا يوجد وحي من الأساس، قال البشر لا يحتاجون إلى وحي وإن البشر لا يحتاجون لنظام وهذا أتفههم، وبعد ذلك نأتي لأخطر اثنين؛ الذي يجعله قراطيس، والذي يفتري على الله كذبًا، ثم الرابع الذي يعترف أن البشر يحتاجون إلى وحي، أين هو هذا الوحي؟ أنا النبي؛ يدّعي النبوة، فتجده يقول أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء، مثل مسيلمة الكذاب وغيره، {وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ}[الأنعام ٩٣] وهو الأخير يقول لم ينزل الله لي شيئًا، هذا من عندي، وأنا أرى أنكم تحتاجون لما أقوله، فما يراه هو ملائم للبشرية كلها، وهو من يقوم بوضع المبادئ. مثلما يريدون فرض الليبرالية على العالم، فيقولون أن هذه هي نهاية الحضارات وأن هذا هو أعلى تقدم بشري يمكن أن يصل إليه البشر، وليس هناك افكار أفضل من هذا... إذًا ماذا سنفعل؟ هل ستُفرض على الناس! هي فكرة بشرية من الأساس ولكن لا بد أن تفرض، أي أن بشرًا

يفرض رأيه على بشر!!! شخص يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويدخل الخلاء، وضعيف وينام ويسهو وينسى ويغفل ويمرض، يأتي بفكرة يريد فرضها ويترك كلام رب البشر! هؤلاء كلهم نفس سلسلة الإجرام "**إبعاد الناس عن الوحي**". {وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ }[الأنعام ٩٣]

هؤلاء ما هو عقابهم لا بد أن يكون أشد العقاب {لَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ}[الأنعام ٩٣] الغمرة أصلها عندما يغرق الإنسان فتأتي موجة فوقها موجة، طبقات بعضهم فوق بعض فلا يستطيع النجاة، لأن ضغط طبقات المياه والأمواج تضغط عليه بشدة فلا يستطيع النجاة ولذلك سُميت **غمرات الموت**، كرب فوق كرب ويُضرب من هنا ومن هنا –نعوذ بالله– ويضرب بقوة، شدة في النزع، والروح وهي تتفرق في أنحاء الجسد ويضرب في كل مكان ويشعر في كل لحظة بآلام الموت، آلام شديدة جدًا – نعوذ بالله– من ذلك.

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ}[الأنعام ٩٣] لأن الروح تخاف فتتفرق في الجسد كله، فتُضرب –والعياذ بالله– حتى تخرج!

{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} هم فعلوا كل ذلك بحثًا عن العزة فأهانهم الله عز وجل فعلوا ذلك من أجل السيطرة على الناس، وفرض أفكارهم على الناس {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} لماذا؟ لأنهم كانوا يفترون على الله الكذب وينسبون لله سبحانه ما لم يقله {بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ} هذا الذي وضع في البداية هذا هو المجرم الكبير، أو الذي يعرف إنه من عند الله ولكنه رفض التطبيق! تقول: القرآن من عند الله يجب أن نطبقه، يقول لك: لا؛ {وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} هؤلاء هم الصنفين الذين سينالون هذا العذاب، الذي يقول على الله غير الحق أو الذي يعترف أنه من عند الله ثم لا يطبق ولا يسعى إلى التطبيق و ليس مضطرًا ولا أي شيء {وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}.

نظامهم الفاسد يأتي لهم بالمال، ولذلك رفضت قريش أن تتبع النبي صلى الله عليه وسلم لأن نظامها الاقتصادي كله قائم على الوثنية الذي صنعته وحيازتهم له

{إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ}[التوبه ٣٤] دائمًا الأنظمة الفاسدة هكذا، مثل الكلمة الرائعة التي قالها أكثر من صحابي وهي ليست بحديث ولا آية وهي كلمة "نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة" هذه الكلمة قالها أكثر من صحابي في أكثر من موقف، الشاهد هنا "لنخرج العباد من عبادة العباد إلى

عبادة رب العباد" فهو يعلم أن هناك اختيارين إما عبادة الله أو إذا تركت عبادته فسوف يستعبدك شخص آخر حتى وإن كنت لا تعلم، أنت مستعبد فأنت تقوم بتطبيق فكر شخص آخر، أنت تمشي في ركاب أشخاص آخرين، يقومون بنحت أصنام ثم يموت النحاتون، ثم يعبد هذه الأصنام الأحفاد بعد موت الأجداد، فأنت تعبد فكرة الجد اللي نحت الصنم.

يُدسترون دساتير ثم يموتون، فيأتي الأحفاد فيعبدون من وضع الفكرة الأولى {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ}[الزخرف ٢٢] فهو يعرف أنك إذا خرجت من عبادة رب العباد سوف تسقط- شئت أم أبيت- في عبادة أحد ولو حتى نفسك وهذا هو اتباع الهوى.

هذه المنظومة توفر لهم مصدرًا ماديًا.. أموالًا، فيقول لهم الله {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ} فكل ما حصلته سوف تتركه، كل أعوانك سيتركونك {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ}[الأنعام ٩٤] هذه الآية تحتاج إلى وقفة المرة القادمة بإذن الله نقوم بتوضيحها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وجزاكم الله خيرًا.